من تراب الطريق (٣٠٨)

هل للاجتماع أم للسياسة؟! (*)

نشرت صحف الأحد ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٩ ، مقتطفات من تقرير الجهاز المركزى للمحاسبات كشف فيه مخالفات بـ «الملايين» فى الصندوق الاجتماعى للتنمية !.. والحديث عن مصارف وميزانيات ووظائف ومرتبات ومكافآت وتعيينات وهبات وعطايا الصندوق قديم ومتكرر ، ولا يبدو أن أحدًا لأسباب لا تفوت ! يريد أن يتصدى لهذا البذخ المبذول فى كثير من الأحيان فى غير موضعه !

والجديد فى التقرير الأخير ، أن الصندوق (الاجتماعى للتنمية) قدم منحة مليون جنيه بالتمام والكمال لجمعية جيل المستقبل التى كثر الحديث عن المزايا التى تمنح لها حتى داخل حرم جامعة القاهرة .. والسؤال الذى يفرض نفسه : ما هو عدد الجمعيات التى أعطاها الصندوق منحًا أو هبات فى عام ٢٠٠٧ الذى منح فيه جمعية جيل المستقبل مبلغا وقدره مليون جنيه ؟! وما هو معدل قيمة التبرعات أو المنح أو الهبات لباقى الجمعيات ، وهل يعطيها الصندوق بذات القدر وذات البذخ ، ويمنح كلًا منها مليون جنيه أو حتى أقل قليلا ، أم أن هذه «العطية» أو «المنحة» الضخمة لم تمنح إلَّا لجمعية جيل المستقبل ؟!

(*) المال ١٠/ ٨/ ٢٠٠٩

دعنا من أن التقرير لم يورد ملاحظات حول عقد المنحة واستخداماتها ، ودعنا نتساءل : هل هذه المنحة لأغراض الاجتماع والتنمية الاجتماعية التى أنشئ من أجلها الصندوق ، أم أنها لأغراض السياسة ؟!.. المقارنة الواجبة فيما منحه الصندوق أو لم يمنحه لباقى الجمعيات وهى بالآلاف فى بر مصر ، وبعضها يقوم بنشاط اجتماعى مصفّى وخالص ، ولا شبهة فيه لنفوذ أو سياسة .. هذه المقارنة الواجبة هى الكفيلة بكشف هل «منحة المليون» لأغراض التنمية الاجتماعية الخالصة لوجه الاجتماع والتنمية ، أم أنها لأغراض السياسة وطلب الصيت والنفوذ ؟!

أوردت الصحف أيضا ، نقلا عن تقرير الجهاز المركزى للمحاسبات ، أن الصندوق تعاقد أيضا مع جمعية «تنمية خدمات مصر الجديدة» على تمويل الجمعية «بمنحة» قيمتها (٥) ملايين جنيه ، للمساهمة فى نشاط الجمعية لتدريب وتأهيل عدد ١٣٣٢ من القائمون على العملية التعليمية بمرحلة التعليم الأساسى فى مدارس بأحياء الزيتون وعين شمس والمطرية ومدينة السلام بمحافظة القاهرة .

ولكن التقرير لم يكشف شيئا عن أمر هذه الجمعية ومن هم القائمون عليها فى حى مصر الجديدة والزيتون (؟!) ، ولا عن سبب خص هذه الجمعية مع جمعية جيل المستقبل بهذه المنح الضخمة الهائلة (؟!) ، ولا عن مصارفها وأوجه استخدامها وهل تتفق أو لا تتفق مع أهداف وغايات الصندوق الاجتماعى للتنمية !

لم يتضمن التقرير بيانا حصريًا يفسر لماذا تُخص هاتان الجمعيتان بالذات بهذه المنحة الهائلة ، ولماذا جرى هذا بغير إعلان (؟!) ، بينما لم

يسمع أحد أن هـذه المنح الفلكية أعطيت لغيرهما من الجمعيات ؟!

نعرف ما يسمى بالاقتصاد السياسى ، فهما قسيمان متشاركان : الاقتصاد والسياسة ، ولكنا لم نعرف قرانا بين الاجتماع والسياسة ، ولا بين السياسة والعدالة .. ذكرنى ما فعله الصندوق الاجتماعى للتنمية الاجتماعية لا السياسية ، بقالة قديمة للأستاذ مكرم عبيد فى مرافعته عن حسن النحاس ، محذرا فيها من اختلاط السياسة بالعدالة فقال :

«إن السياسـة والعدالـة ضدان لا يجتمعان . وإذا اجتمعا لا يتمازجان . والواقع أنهما مختلفان فى الطبيعة والوسيلة والغرض . فالعدالة من روح الله والسياسة من صنع الناس . والسياسة توازن بين شتى الاعتبارات ، والعدالة تزن الأمور بالقسطاس . وكذلك يختلف الغرض منهما : فالعدالة تطلب حقًا والسياسـة تبغـى مصلحـة سواء أكانت تلك المصلحة حقًا أو باطلا ! غير أن أخطر ما فى السياسة أنها ترى من حسن السياسة أن تخلع على المصلحة رداء الحق تلبسه دوامًا وأن تخدع الناس عن ظلم الساسة فتصوره عدلا لزامًا !!.. هذا شر ما يخشى من السياسة ، ولذلك فليس أشد خطرًا على نظام الدولة وأخلاق الشعب ، من أن تتخذ المنازعات السياسية شكل الدعاوى القضائية ، فتدخل السياسة هيكل القضاء متباكية متمسحة بأعتابه وتتجنى على العدل باسم العدل منتحلة اسمه متشحة بجلبابه ! وقد عودتنا السياسة أن تقلب الأوضاع فتتباكى وهى الجانية وتشكو والناس منها شاكية ! ».

ما ينطبق على صيانة العدالة من تداخلات السياسة ، ينطبق أيضا على صيانة الأهداف الاجتماعية والإنسانية من أن تخالطها السياسة ، فتترك هدفها وغايتها ، وتيمم شطر السياسة ودنياها ونفوذها وتسهيلاتها .. وكم فى دنياها من تساهيل !!!